محمد الرطيان | نشر في ٢٢ ديسمبر ,٢٠١٧

سعودي يكتب ممتدحًا "نمر الصحراء": الخيانة.. وخلف ظهرك رُومٌ !

«أبو رغال» أحد رموز الخيانة العربية، بل إن العرب صارت تنعت كل خائن بـ«أبي رغال» حتى أصبح اسمه مرادفًا للخيانة، عندما قرّر أبرهة غزو الكعبة وهدمها، بحث عن دليل عربي يدله على طريق مكة، جميع من عرض عليهم هذا الأمر من العرب رفضوا رغم الإغراءات والتهديدات، إلى أن وصلوا إلى «أبي رغال» الذي وافق مقابل أجر معلوم ليكون دليلاً لجيوش أبرهة.

ظلت العرب لقرون (منذ الجاهلية) وهي ترجم قبره لأنها تحتقر الخيانة والخونة، بل إنهم قبل الإسلام جعلوا رجم قبره جزءًا من شعائر الحج، العبد الذي يتم سبيه: يُباع ويُشترى في أسواق النخاسة رغمًا عن إرادته المسلوبة.

الخائن: يذهب إلى أسواق النخاسة بإرادته ليعرض نفسه لمن يدفع أكثر!، الخائن لم – ولن – يكون حرًا أبدًا.. حتى وإن ظن ذلك.

لا تُمذهب الخيانة.. هي طبيعة الوضيع الحقير الذي يمكنك شراءه بأي سعر، عندما تتذكر اسم «ابن العلقمي» فلا تنظر لخيانته بشكل مذهبي.. وإن فعلت، فتذكر بإنصاف اسم «سيف الدولة الحمداني» – وهو شيعي أيضًا- الذي أمضى عمره وهو يقاتل الروم لوحده ويدافع عن الأرض العربية ضد الغزاة، وعليك أن تغني مع «المتنبي»:

أنتَ طُولَ الحَيَاة للرّومَ غازٍ... فمَتى الوَعْدُ أن يكونَ الْفُولُ

وَسَوى الرّومَ خَلفَ ظَهرَكَ رُومٌ ... فعَلى أيّ جَانبَيْكَ تَمِيلُ

والروم الذين أمام سيف الدولة، وأمامك.. تراهم، وتعرفهم بشكل جيّد، المشكلة في «الروم» الذين يقفون خلف ظهرك.. وما يزالون يقفون هناك!

أخطر الخونة: خائن تتم صناعته من الأعداء باحترافية ومهارة ويتم تصديره لك وترويج أفكاره حتى يصبح وجهًا مألوفًا – ومقبولاً لدى البعض- ليعمل تحت الضوء بصفات وأسماء مختلفة.، يتم تلميع

«الخيانة».. تصبح: وجهة نظر، أو: رأي آخر..

التاريخ يذهلك ويفجعك بحكايات الخونة رغم عظمة آباءهم وأجدادهم

تتسرب إليك عبر عبارات أنيقة ورائجة، وأحيانًا عبر بعض القيم الإنسانية!، انتهى «الخائن» التقليدي.. الآن هنالك مؤسسات ودول ومنابر تستطيع أن تصنع لك «الخائن» الأكثر حداثة.. الخائن اللامع الأنيق الذي يأتيك بمسميات مختلفة وأنشطة إنسانية، الخائن التقليدي يدل الأعداء على الطريق... يفتح لهم باب القلعة... يدلهم على الثغرة.

الخائن الحديث يصنع الطريق والثغرة... يجعلهم يتجولون داخل القلعة كأصدقاء... ويجعلك تعتاد على هذا الأمر، وتنظر إليه كشخص له قيمته، ومقامه، ومؤسسته المدعومة من الخارج، وصورته اللامعة بالفلاشات المستأجرة وهو يستلم الجائزة المشبوهة!

عندما تجد في كتاب التاريخ سطرًا يقول لك:أن أول زعيم عربي خان أمته وتآمر عليها وقاتل بجانب الأعداء في الأندلس هو «سليمان الأعرابي».. التاريخ هنا لا يحفظ اسمه، هو فقط يبصق عليه بشكل سريع!

التاريخ يذهلك ويفجعك بحكايات الخونة رغم عظمة آباءهم وأجدادهم: أحد أحفاد الفاتح العظيم «صلاح الدين الأيوبي» سلّم القدس بكل حقارة للصليبين في صفقة قذرة، فقط لينصروه في حروبه الداخلية على عمه!، لا أصل للخيانة، لا عرق للخيانة، لا لون للخيانة:

عندما تُصاب بالغثيان من أسماء الخونة الذي يشبهون أسماءنا ولهم نفس ملامحنا، تذكّر أسماء الغرباء الذين وقفوا بجانبنا:

– «جورج غالاوي» سياسي بريطاني أمضى عمره يدافع عن القضية الفلسطينية. حاول – مع آخرين- كسر الحصار وتم منعه وضربه.. اسمه «جورج» والعسكر الذين منعوه أسماءهم: محمد وأحمد وعلي وعبدالسلام...!

وقف فخر الدين باشا أمام قبر رسول االله صلوات االله وسلامه عليه، ويقول بلغة عربية مُكسّرة وعزيمة صلبة متماسكة: «واالله لن أخونك يا رسول االله»

– تذكّر أيضًا اسم «راشيل كوري» شابة أمريكية ماتت تحت عجلات وأسنان جرافة إسرائيلية وهي تحاول منعها من هدم بيت فلسطيني.

فخر الدين باشا القائد العثماني العظيم، وآخر حاكم عثماني في حصار المدينة المنورة: يقف بثبات داخل مسجد رسول االله.. ويحرّض جنده لمواصلة القتال.

يتواصل حصاره هو وجندهـ..الدولة العثمانية تتساقط أطرافها بضربات الحلفاء، وتوقع معاهدات الاستسلام، ويستمر حصار المدينة..

ينفد الطعام..ينفد الماء..تتفشى الأمراض بين جنده، وتنفد الأدوية، ويقل العتاد...تقطع عنه الإمدادات، وتفجّر سكة حديد الحجاز، يقف لوحده مع قوته الصغيرة وسط صحراء من الأعداء دون أي سند، يأتيه التلغراف من اسطنبول يدعوه للاستسلام.. يتجاهله.

يرسل له قائده يطلب منه الاستسلام، يرفض.. ويبحث عن أي حجة، ويقول في رسالة الرد: هذه ليست أي مدينة حتى انسحب منها أو استسلم.. إنها مدينة رسول االله. لا بد أن يأتيني الأمر من الخليفة نفسه!

يأتيه أمر الخليفة بجواب من وزير العدل يأمره بتطبيق معاهدة موندروس وتسليم المدينة للحلفاء.. ويرفض، قائلاً: «إن الخليفة يعد الآن أسيرًا في يد الحلفاء لذا فلا توجد له إرادة حرة».. ويرفض أن يستسلم، مُعرضًا نفسه للمحاكمة والعزل وتهمة خيانة الأوامر العسكرية... (سيسجل التاريخ أنها أطهر

وأعظم وأشرف خيانة).

يقف أمام قبر رسول االله صلوات االله وسلامه عليه، ويقول بلغة عربية مُكسّرة وعزيمة صلبة متماسكة: «واالله لن أخونك يا رسول االله».

يتساقط جنده وضباطه، وقبلها دولته، وكل شيء حوله يقف ضده... قال للقلة التي بقيت معه: أخرجوا أنتم، وأنا سأبقى هنا... لا يدرون ما الحيلة مع قائدهم!.. أحاط من تبقى منهم بفراشه وحملوه قسرًا وهم يبكون ليخرجوه إلى الخيمة المعدة له من جانب «حلفاء» الحلفاء، التاريخ الذي يبصق على وجوه الخونة.. ينحني ليُقبّل رأس فخر الدين باشا.

انزع ملابسك واستبدلها بملابس جديدة ومختلفة عمّا اعتدنا عليه.. أنت: حر...

انزع جلدك.. أنت: خائن!

*هذا المقال نشر بتاريخ 7/4/2014

المصدر: المدينة

رابط المقال: https://www.noonpost.com/21279/